الخطب المنبرية

أعظم الشهادات

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخُطبَةُ الأُولَى

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفِره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بعدُ:

فإنَّ أَصْدقَ الحديث: كتابُ الله، وأَحسن الهَدي: هديُ محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأُمورِ: مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّها المؤمنون!

اتَّقوا ربَّكم، واتَّبِعوا نبيَّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والْزَموا دِينَكم؛ تَغْنموا في أُولاكم وأُخراكم.

واعلموا - رحمكم الله - أنَّ أهمَّ المُهِمَّات: مَلْءَ القلوبِ بأعظمِ الشَّهادات؛ وهي (شهادة ألَّا إله إلَّا الله)؛ فإنَّ تلك الشَّهادة هي أعظم شَهادةٍ، والشَّاهد عليها هو أعظم شاهدٍ.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨]؛ فشَهد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنفسه، وأَشهد ملائكتَه وأهلَ العِلْم من خَلْقه؛ أنَّه لا إله إلَّا هو سُبْحَانَهُ.

فمِن أَهمِّ ما ينبغي للعبد أن يعتني به: أن يَملأَ قلبه بحقيقة (لا إله إلَّا الله).

ولا يَتهيَّأُ ذلك إلَّا بأمرين:

- **أحدهما**: عِلمُه بمعناها.

- **والآخر**: اسْتِيقانه أنَّها تَسْتوعب حياتَه كُلَّها.

فأمَّا الأمر الأوَّل - وهو عِلمُه بمعناها -: ذلك أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٦)، من حديث عثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلا يكفي العبدَ أن يَتلفَّظ بِهذه الكلمة (لا إله إلَّا الله) مع جهلِه بمعناها؛ بل لا بُدَّ أن يكون عالمًا به؛ لأنَّ عِلْمَه بمعناها هو جِسر التزامه بمُقتضاها.

فمَن عَلِم حقيقة (لا إله إلَّا الله) الْتزم بِها.

وحقيقة (لا إله إلَّا الله) - الَّتي هي لُبُّ معناها -: عِلْم العبد أنَّه لا معبودَ حقٌّ إلَّا الله.

فالمعبود المُسْتحقُّ للعبادة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده.

وإذا عَلِم العبدُ أنَّ المُسْتحقَّ للعبادة هو الله دون سواه = كانت عباداته كلُّها - قليلُها وكثيرُها، سرُّها وجَهرُها - لله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له.

ولا يَتهيَّأ ذلك - كما سَبق - إلَّا بأن تستوعب هذه الكلمةُ حياتَه كلَّها؛ كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].

فقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: إشارةٌ إلى جميع العبادات بذِكْر عبادتين مِن أعظَمِها؛ وهما عبادة الصَّلاة والذَّبح؛ لأنَّ في الصَّلاة إكلالَ الأبدان، وفي الذَّبْح إنفاقَ الأموال؛ فهاتان العبادتان لهما من المَقام العظيم ما لا يَخفى على مَن عَلِم حقيقتهما، وهما مُقَدِّمتان لسائر العبادات الَّتي تكون تارةً بَدنيَّةً، وتكون تارةً ماليَّةً، وتكون تارةً مُرَكَّبةً منهما.

فقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: أي جميع عباداتِي، وإن كان المذكور

هو عبادتان.

وتلك العبادات كلُّها - كما قال الله عَزَّوَجَلَّ - ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، فتكون جميع العبادات لله؛ لا يجعل العبد شيئًا منها لغيره.

وقوله تَعَالَىٰ بعد ذلك: ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي أنَّ حياتِي كلَّها ومَماتي كذلك كائنٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمبتدأ الحياة: (لا إله إلَّا الله)، ومُنتهاها بالممات: (لا إله إلَّا الله).

ولهذا؛ كان أوَّلُ دعوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنَّاس ليبتدئوا حياتَهم أن كان يقول لهم: «**قُولُوا: (لَا إِلَه إِلَّا اللهُ) تُفْلِحُوا**»[(١)].

ثُمَّ أخبرهم ما ينبغي أن يكونوا عليه من الموت عليها؛ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَلَّا إِلَه إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: (لَا إِلَه إِلَّه الله) دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٣)].

فينبغي أَن يعلمَ العبدُ حقيقة (لا إله إلَّا الله)، وأنَّه لا معبودَ حقٌّ إلَّا الله، وأنَّ هذه الحقيقة ينبغي أن تَستوعِبَ الحياةَ كلَّها مِن مُبتدَئِها إلى مُنتهاها.

---

(١) أخرجه أحمدُ (١٦٢٦٩، ١٩٣٠٩)، مِن حديثِ ربيعةَ بن عَبَّادٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تَقدَّم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داودَ (٣١١٦)، من حديث معاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فإذا حَظي العبدُ بذلك كان مِن أهل (لا إله إلَّا الله).

وطُوبَى في الدُّنيا والآخرة لأهل (لا إله إلَّا الله).

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم، فاستغفِرُوه؛ إِنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة

الحمد لله ربِّ العالمين، ربِّ السَّماوات وربِّ الأرض ربِّ العرش العظيم، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله معبودًا حقًّا، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صِدْقًا.

اللَّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما بَارَكْت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، إِنَّك حميدٌ مجيدٌ.

أَمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون!

إنَّ شهادة (ألَّا إله إلَّا الله) هي أعظم الشَّهادات، وهي أشرف الشَّهادات، وهي أَرفع الشَّهادات، وبِها تُرْفَع الدَّرجات، وتُنَال الحسنات، وتُكفَّر السَّيِّئات.

فإذا كان للعبد وَكَدٌ واعتناءٌ بتحقيق شهادةٍ ما، فإنَّ تحقيقَه شهادة ألَّا إله إلَّا الله ينبغي أن يكون أعظمَ مطالب نفسه؛ بأن يعلمَ أنَّه لا معبودَ حقٌّ إلَّا الله، وأنَّ جميع عبادته يجب أن تكونَ كلَّها لله، وأنَّه ينبغي أن يلزم هذا في شأنه كلِّه، وأن تكون مستوعِبةً حياتَه كلَّها.

ولا يَتمُّ تحقيق ذلك المعنى إلَّا بالبراءة من المعبودات سواه؛ فإنَّ اعتقادَ أحدِنا ألَّا معبودَ حقٌّ إلَّا الله، يقتضي إبطالَ المعبودات سِواه؛ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزُّخرف].

فالعبد المسلم يَبْرأُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من المعبودات كلِّها سواه عَزَّوَجَلَّ، ويعتقد بُطلانَها وبُطلانَ حال مَن يعبدُها، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل دينًا إلَّا دين الإسلام.

قال تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران]؛ لأنَّ حقيقة الإسلام: اعتقاد شهادة ألَّا إله إلَّا الله؛ فلا يجعل أهلُها أحدًا من الخَلْق بمنزلة الله، ولا شريكًا له، ولا يُضيفون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صاحبةً ولا ولدًا.

ولذلك؛ كانوا هُم - على الحقيقة - أهلَ الإسلام؛ لأنَّهم يعتقدون ألَّا إله إلَّا الله.

فمِن أعظم التَّوفيق وأشرفِ الأحوال: أن يجعلَك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عبدًا تُقِرُّ له بأنَّه لا إله إلَّا الله.

وأكملُ الحالات: أن تبقى في الدُّنيا على هذه الكلمة (لا إله إلَّا الله) محقِّقًا لها، وأن تموت عليها؛ فحينئذٍ ستكون في الآخرة مِن أهل (لا إله إلَّا الله).

اللَّهمَّ اجعلْنا مِن أهل (لا إله إلَّا الله).

اللَّهمَّ أَحْيِنا على (لا إله إلَّا الله)، وأَمِتْنا على (لا إله إلَّا الله)، وَاحشُرْنا جميعًا في حِزْب (لا إله إلَّا الله).

اللَّهمَّ أَحْيِنا على الإسلام والسُّنَّة، وأَمِتْنا على الإسلام والسُّنَّة.

اللَّهم أَحْيِنا على خير حال، وأَمِتْنا على خير حال، واقْلُبْنا جميعًا إلى خير المآل.

اللَّهمَّ آتِ نُفُوسنا تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنت وَلِيُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إِنَّا نسألك الهُدى، والتُّقى، والعَفاف، والغِنى.

اللَّهمَّ نَفِّسْ كُرَب المكروبين، وفَرِّجْ هموم المهمومين، وَاقْضِ الدَّيْن عن المَدِينِين، وَاشْفِ مَرَضَنا ومَرْضَانا ومرضى المسلمين.

اللَّهمَّ وَفِّقْ وليَّ أَمْرِنا بتوفيقك، وأَيِّدْه بتأييدك، وارزُقْه البِطانة النَّاصحة الصَّالحة، وجَنِّبْه بِطانة السُّوء.